ورقة موقف

الثكالى الأحياء-الأموات: سيرورة النساء الباقيات الفاقدات[1]

سهاد ظاهر-ناشف[2]
سماح سلايمة-اغبارية[3]

"لما يكونً حيطك واطي، راح يضل واطي، بيصير الكبير والصغير يشوفكً هيك ورح يضل قتل أختك دايما يذكرك بها ا لموضوع[4]".

القضية وسبب اختيارها:

لا زالت ممارسة قتل النساء الفلسطينيات في المناطق المحتلة عام 1948، تحصد أرواح ما معدله عشر نساء كل عام. كُتب، ولا زال كثير لم يُكتب عن النساء اللاتي حُرمن حقهن في العيش وفي الحياة، لكن أحدا لم يتطرق حتى اليوم، لما يحدث للنساء والفتيات من اسر من تم قتلهن، هذا الواقع شكل دافعا وسببا لاختيارنا التعمق في هذه القضية.

تسلّط هذه الورقة الضوء على قصص النساء اللواتي بقين على قيد الحياة، ولهن صلة قرابة من الدرجة الأولى مع امرأة قُتلت. فلكل ضحية توجد أم، أخت/أخوات، ابنة/بنات ثكالى، مصدومة/ات، مهمومة/ات ولكن باقية/ات بعدها على قيد الحياة.

سنحاول هنا ان نعرض باقتضاب بعض ما يحدث لنساء خسرن أغلى النساء في حياتهن، وذلك من خلال شهاداتهن، ومن خلال العمل معهن في إطار منتدى العائلات الذي أقامته جمعية

[1] هذه الورقة صادرة عن "سلسلة أوراق موقف"، ضمن المشروع البحثي "منالية العدالة للمرأة الفلسطينية"، في إطار "برنامج الدراسات النسويّة"، "مدى الكرمل".

[2] د. سهاد ظاهر-ناشف: باحثة في العلوم الاجتماعية، منسقة برنامج الدراسات النسويّة في مدى الكرمل. تعمل محاضرة ومرشدة في كلية "القاسمي" وكلية "أورانيم" للتربية.

[3] سماح سلايمة اغبارية: عاملة اجتماعية، وناشطة نسوية. مُؤسسة ومديرة جمعية "نعم-نساء عربيات في المركز".

[4] هذا ما قالته مها (اسم مُستعار) وهي أخت لامرأة قُتلت. جميع الأسماء في هذه الورقة مُستعارة

"نعم-نساء عربيات في المركز". لا يقتصر الأمر على عرض مشاعرهن فقط، بل سنعرض أيضا أساليب تعامل النساء الباقيات مع التحقيقات، المحاكم، المؤسسات الحكومية بعد وقوع الجريمة، وكيف تتعامل المؤسسات الرسمية معهن. كما سنتطرق لتبعات ذلك داخل إطار العائلات بعد الجريمة، وكيف تصبح العودة الى مسار الحياة اليومية العادية مهمة شاقة وشبه مستحيلة.

ما كُتب عن القضية وما لم يُكتب بعد:

حاول بعض الباحثين/ات التطرق لموقف أفراد العائلة في حالات قتل النساء، لكن غالبية تلك الكتابات ركزت على شراكة أفراد العائلة في الجريمة، بما فيهم/ن النساء سواء الأمهات أو الأخوات[5]. فمثلا، تتطرق فادية الفقير في مقالتها عن قتل النساء في الأردن إلى شراكة العائلة النواة كبنية اجتماعية في حالات قتل النساء. وتقترح للحد من هذه الظاهرة، وضع استراتيجية علاجية- قانونية- سياسية تشمل العائلة [6](Faqir. 2010). وتصف Meyell (2002) أدوار الأمهات والأخوات في حالات قتل النساء بأنها تتمحور حول أدوار الشريكة بالقتل والتحريض عليه، أو السكوت والرضا بعد القتل[7]. في المقابل، تتطرق شلهوب-كيفوركيان[8] إلى دور المجتمع والعائلة في تبرير أو الدفع إلى قتل النساء، وتتجاوز مفهوم القتل المُباشر إلى تعريفهن كميّتات منذ اللحظة التي يتم بها التهديد بالقتل. تقول شلهوب-كيفوركيان، تعتبر المرأة في عداد الموتى من لحظة التهديد بالقتل حتى لو كانت على قيد الحياة جسدا. من هنا فإن كون أمّها أو اختها أو خالتها قد قُتلت، وفي بعض الحالات كلهن جمعا، يجعل المرأة في دائرة التهديد بالموت، ليصبح بمثابة احتمال وارد في العائلة.

ما ظهر في الحقل العملي أثبت هذه الحقيقة، فقد لحق بكثير من النساء اللاتي قُتلت أخواتهن كما في حالة كل من "أمل مصراتي" وأختها "نسرين مصراتي"، وأيضا "نرمين أبو غانم" و"ميّاده أبو غانم" الأخوات اللواتي سبقتهن أمّهن للموت، وغيرهن. ينتشر العنف ضد النساء والذي

---

[5] أنظر/ي أيضا على سبيل المثال لا الحصر:

Chesler, P. (2009). Are Honor Killings Simply Domestic Violence? *The Middle East Quarterly.* Vol. xvi (2). P. 61-69.

[6] Faqir, F. (2001). Intrafamily femicide in defense of honour: The case of Jordan. *Third World Quarterly.* Vol. 22 (1). P. 65-82.

[7] Meyell, H. (2002). Thousands of women killed for family "honor". *National Geographic News.*

[8] Shalhoub-Kevorkian, N. (2003). Re-Examinign Femicide: Breaking the Silence and Crossing 'Scientific' Borders. *Signs.* Vol. 28 (2). P. 581-608.

يبلغ أوجه في عملية قتلهن بنسبة أعلى في الطبقات الاجتماعية ذات الحالة الاجتماعية الاقتصادية المتدنية، ولهذا فإن الأخوات والأمهات والبنات لامرأة قُتلت، حتى لو لم يُقتلن، يصبحن عرضة مستمرة لمسلسلات عنف جسدي ونفسي واجتماعي[9].

ما يحدث للنساء الباقيات الفاقدات في الواقع الفلسطيني المُحتل عام 1948:

خلال توثيق أصوات النساء عبر سرد قصصهن، تبين أن هنالك محاور وقضايا أساسية لا بد من التعمّق فيها. من بينها قضايا تتعلق بالمواجهة النفسية، المواجهة البيروقراطية، وتأثّر العلاقات الأسرية جميعها وغير ذلك.

بين نارين - نسيان القتل ومعاقبة القاتل:

عادة ما ترفض النساء حقيقة قتل الأخت أو الإبنة، وتعبر عن هذا الرفض بالإصرار على ملاحقة القاتل والمجرم، ويتمثل دورهن في كثير من الأحيان في متابعة تطورات القضية وحث الرجال على التحرك من خلال تعبيرات رمزية مثل: "اعمل اشي يا زلمة". فيما، يفضل رجال العائلة الهرب من المواجهة بذريعة تجاوز الأزمة، ويتعاملون مع المرأة المصرة على "نبش الموضوع" كمصدر إزعاج ومضايقه. إضافة إلى التعامل مع القتل كأنه حادث عابر، ليصبح "هداك الحادث" سببا للخلافات والشجار وتبادل الاتهامات داخل العائلة.

مع مرور الوقت تتخلى النساء غالبا عن التعامل مع الموضوع وعن ملاحقته، بعد ان تحس نفسها وحيدة في هذه القضية، وتبقى الصدمة والحزن، الغضب واليأس، مشاعر داخلية تواجهها وحدها. يخلق هذا الوضع توترا وتدهورا في العلاقات الأسريّة في وقت تحتاج فيه الأسرة إلى الشعور بالاستقرار والأمان للمضي قدما في التحقيق والمواجهة. لا تتطرق هذه الورقة للبنات اللاتي قُتلت امهاتهن، فهذا الموضوع له حيثياته وأهميته حيث لا نجد حتى اليوم بحثا قام بفحص سيرورة حياة تلك البنات، ليس فقط على الصعيد الفلسطيني بل عالميا أيضا.[10] لقد أثبتت الأبحاث أن النساء اللواتي مررن بتجربة قتل لإحدى قريباتهن -حتى لو كان على يد

[9] Chesler, P. (2010). Worldwide Trends in honor Killing. *Middle East Quarterly.* Vol. 17 (2). P. 3-11.

[10] Lewandowski, L. McFarlane, J. Campbell J. Gary, F. and Barenski, C. (2004). "He killed my mommy!" Murder of attempted murder of child's mother. *Journal of Family Violence.* Vol. 19 (4). P. 211-220.

غريب-، يعشن في ظل خوف من كونهن الضحية التالية، وان الموت متربص لها كما تربص لأختها أو قريبتها[11].

قصة رلى[12]، هي إحدى القصص التي تُجسد مدى التهديد الذي تعيشه المرأة عندما تحاول إظهار الحقيقة. ففي قضية رلى التي قُتلت عام 2007، قامت عدة نساء من بينهن أمها بتقديم شهادتهن ضد اخاها المُتهم بقتلها في المحكمة، لقد كان صوتهن عاليا حين شهدن انه هو من قتل رلى. ورغم ذلك اتُهم الأخ كشريك بالقتل وليس بقاتل. أما الأم وكل امرأة شهدت شهادة حق فقد هُجّرن وتم اقتلاعهن من بيوتهن إلى ملجأ يبعدهن عن الخطر، بدلا من تهجير وإبعاد من يُهددهن. تكرر هاذ المشهد مع قتل مروة، فقد كانت عاقبة شهادة الام طلاقها وترحيلها مع اولادها وملاحقتها من قبل العائلة الناقمة، فتقول:

"دخّلت شبابهن مع إبني للسجن، شو بدّك يعملو فيي؟ البلد ما فتتها من يومها".

إضافة لذلك يتعرض قسم من النساء المُهدّدات للملاحقة المادية. حيث لا زلن يحاربن من أجل الحصول على مستحقاتهن وبيوتهن وتتراكم عليهن الدّيون فلا يستطعن سداد الضرائب المتراكمة عليهن من قبل المؤسسات الحكومية. من هنا فإن مثل اولئك النسوة يجدن أنفسهن تحت تهديد القتل وبدون حماية لهن كونهن نساء وفلسطينيات أيضا.

الأزمة النفسيّة:

عادة ما يشكل مقتل أحد أفراد العائلة صدمة كبيرة، فيما تختلف سبل التعامل والتأقلم مع ذلك من انسان لآخر. لكن مقتل امرأه بظروف تراجيدية تحت غيمة الوصمة الاجتماعية، ومن قبل أحد أقرباء الضحية يجعل دوائر الدعم للأم أو الأخت محدودة للغاية، فالعائلة الشريكة في الجريمة لا تستطيع الاحتواء والدعم بعد ان انعدمت الثقة بهم.

"حتى جوز بنتي، بنتي نفسها صرت اشك فيها، قالت لجوزها اشي راح حكى او خلاهم يقتلوها."

ينتج عن ذلك مباشرة وسريعا، ردود فعل نفسية خطيرة عند ذوي الضحية، مثل الاكتئاب والعزلة، موجات الغضب والسخط والانهيار النفسي.

---

[11] Madriz. E. (1997). *Fear of Croime in Women's Lives: Nothing Bad Happens to Good Girls.* University of California Press.

[12] الأسماء المُستخدمة في هذه الورقة مستعارة ومحفوظة لدى كاتبات هذه الورقة

"امي حالتها بالويل، هاي المرأة اللي قدامك ضعفت تلاتين كيلو، صعب نطلعها مشوار او تروح ع محل، يمكن هاد الاشي خلاها تتقرب للدين، يمكن بتخفف ع حالها بالصلاة."

في معظم الحالات لا يولي ذوو/ات الضحية أهمية للموضوع مما يزيد في تدهور الحالة النفسيّة للأم او الأخت الثكلى.

"انا رحت مرة عالبسيخياتر[13]، كنت زي المجنونه اكل بحالي اكل وأدخن كتير، اعطاني دوا، بس انام وأقوم وانام وبطلته."

من الجدير ذكره أنه حسب قرار الحكومة الإسرائيلية عام 2011، على وزارة الرفاه تقديم المساعده النفسية واللوجستية لذوي/ات ضحايا الموت والقتل، وفازت جمعية يهوديّة بالمناقصة لتُفعّل مراكز مختلفة في البلاد لدعم العائلات التي دفعت ثمن الإجرام. من بين كل العائلات المعروفة في مجموعة أهالي الضحايا في "جمعية نعم"، ومن خلال هذا البحث لم نصل لعائلة واحدة استفادت من تلك الخدمة.

صعوبات بيروقراطية:

تسرد النساء صعوبات بيروقراطية في المستوى التقني مثل صعوبة الوصول إلى مكان التحقيق وأحيانا عدم معرفة أين يتم. وكثيرا ما يصعب عليهن التنقل ومتابعة التطورات في القضية لأنها لا تعرف مكان وزمان انعقاد المحكمة. تتحدث كثير من النساء عن إحباط شديد لعدم تمكنهن من متابعة القضية. تقول إحدى الأمهات:

"رحت عالبوليس بعد العزا اشوف شو ساوو، قالولي خلص اسابطلنا مسوؤلين عن الملف، روحي على عكا" طب وين في عكا؟ عند مين الله اعلم ؟ بعد اكم يوم رحت لحالي على عكا ، ولا حدا تعرف علي، قالولي المحقق المسوؤل عن الملف بالناصره، اي هي الناصرة صغيرة؟ وين اروح لحالي اطابش لا بعرف مين أسال ولا عن شو."

يشكل غياب المعرفة وعدم القدرة على الوصول إليها معاناة يومية لتلك النساء. هنا لا نتحدث عن مطالبة بعقاب أو عن تقديم اتهام بل عن أمر أبسط بكثير وهو حق أساسي، إنه معرفة ماذا حصل ومن قتل "الغالية" على قلوبهن.

أم أخرى صرحت قائلة:

[13] أي الطبيب النفسي.

" احنا بحيفا جننونا رايحين جايين يوم اتصلو بينا وقالولنا تعالواعكفار سابا، لا معي سياره ولا بحياتي كنت بكفار سابا، ليش منقدرش نقعد هون ليش؟"

تلعب المؤسسة دور الحارس للقيم الثقافية والمعايير المجتمعية. لكنها تنسى أن حادثة وخبرة أولى للنساء الثكالى، لا تفترض منهن أن يكن على علم أو دراية ببنية وأماكن مراكز التحقيق والشرطة وغيرها أو أن يتم التعامل معهن على أنهن خبيرات بهذا المجال وعليهن معرفة كل صغيرة وكبيرة بأنفسهن ودون مساعدة. حيث لا تتوفر لديها وسائل نقل عامة ملائمة لتنقل بها النساء من مكان لآخر. هذا التعامل من المؤسسة ينفي ويمحو مشاعر الحزن إثر الفقدان، ويعمق الصدمة النفسية ومن وحشية القتل وسلب الحياة.

أم ضحية أخرى :

"رحت اسال عن اغراض البنت هويتها، دفاترها، كانت تكتب وترسم واخدو كل شي، بدي الأغراض من ريحتها، وقالو خلص هدول النا."

وهذا بالطبع حرمان ثان بعد الحرمان الأول. ففي بعض الحالات تطرق العائلات كل باب من أجل إحقاق الحق وتثبيت أن قاتل ابنتها هو مُجرم ليس إلا، كما لا تستطيع هذه العائلات تقديم ملف القضية رغم وضوح حقها وضوح الشمس، إلا بمساعدة عضو/ة في الكنيست الإسرائيلي.

أخت ضحية أخرى:

"رحت عالبوليس اسال شو صار معهم، قال ابعتي ابوكي او اخوكي، انا مره عمرها اربعين سنه وابوي مريض واخوي ولا داري عن حالنا شو ابعتي ابوكي يسأل؟ انا بدي اعرف مش هن."

يدلّ هذا التعامل على أبوية ورجعية هذا الجهاز الذي يأخذ على المجتمع الفلسطيني رجعيته وأبويته. جهاز تصعب عليه رؤية المرأة في موقع قوة تطالب بحقها وبحق أختها وابنتها التي قُتلت أحيانا بعلمهم المُسبق دون أن يُحركوا ساكنا.

أم لضحية أخرى قالت:

"راحت اغلى بنت عندي، هيك بشربة مي، اقل ما فيها نعرفمين قتلها؟ وكيف وليش، بدي ينحبس مدى الحياة، رحتاسال قالو روحي عاليامار، شو اليمار هاد؟ انا شو بيعرفني، حكوا المحقق بيتصل فيكي اتركي تلفون، وهاد وجهه الضيف! لا حد اتصل ولا سأل."

يخلق هذا التعامل من الشرطة إحباطا وعدم ثقة، وكثيرا ما تعبر النساء عن عدم ثقتهن بالشرطة بتاتا، ولا يشعرن أن الشرطة أو غيرها من مؤسسات القضاء الإسرائيلي توفر لهن أو لبناتهن الحماية والشعور بالأمان الذي هو من أسس وبديهيات الحياة.

الخطيبة والأخت المتزوجة:

تبين أنه عندما تكون الضحية متزوجة أو خاطبة يكون الميل للنسيان وتجاوز الحدث أكبر من قبل الزوج أو الخطيب، كما ظهر في عدة حالات. حيث يسارع أزواج الأخوات، عادة، لعزل زوجاتهم عن التواجد والتعامل مع عائلاتهن بعد الجريمة بحجة حمايتهن من الخطر أو الحاق الأذى بسمعتها أو "تأثر الأولاد من الحادث". مما يضع الأخت بين نارين فهي تريد الحفاظ على زواجها وبيتها وترغب بالبحث والتحقيق بالجريمة والتظاهر مثلا أو حتى التواجد المستمر مع أمها ودعمها نفسيا في هذه المحنة.

"جوزي ما كان منيح اصلا، بس كنت ساكته واحاول اصلح الامور، بس بعد قتل اختي، صار انسان تاني عصبي ويسمع كلام الناس. حماتي كمان كانت تزت حكي، وانا غريبة ولحالي هناك وما عجبهن رايحه جاي عالبلد عند امي، بالآخر تطلقت وقعدت مع امي."

"جوز اختي منعها تبين بالتلفزيون والجرايد، خلص فضايح عاد بيقول"

"جوز بنتي الي عمره ما تعرف علينا ولا همه اشي اجا مبارح وقالي بوجهي، بنتك انقتلت، خلص راحت بدناش نضل نعيد ونزيد بالموضوع ونفضح حالنا."

مواجهة المجتمع:

إضافة لمواجهة إهمال وتجاهل المؤسسة الرسمية وإضافة لتجاهل العائلة القريبة النواة، تواجه النساء أيضا نظرة المجتمع، تعامله مع العائلة ومعهن كأخوات أو أمهات للمقتولة. فقد تم تهجير أهل سِهام من بيتهم وترحيلهم لمسكن آخر في بلدة بعيدة عن بلدتهم الأصلية، وعندما سألنا لماذا رحلوا كان جواب الأخت:

"هن رحلوا لحالهن. ابوي بالسبعينات بطل يقدر يتحمل الناس وتعاملهن، عالجامع بطل يقدر يروح وقلي البلد اللي قتلت وحدة فقيرة زي سهام ما بينسكن فيها."

كما نقلت أم مرام بيتها من حارة القاتل وهي مكتئبة. وتجد نهاية نفسها تقول عقب مقتل أختها روان التي قُتلت بعد سبع سنوات من مقتل أختها ناريمان: "أخواتي شريفات"، مدافعة عن صورة أخواتها أمام المجتمع المُتهم وغير المُكترث بتفاصيل القضايا.
هذا إضافة لتقاعس الشرطة عن حمايتهما حين اشتكين وعرفن أنهن تحت خطر الموت. إضافة إلى محاولة الأمهات التعويض عن فقدان الإبنة بالاعتناء بأولادها وبناتها، وكثيرا ما يواجهن صعوبة باحتضانهم وبتعويضهم عن حضن الأم المفقود لأن هناك في الطرف الآخر زوجا أو عائلة زوج تُصارع على حضانة الأولاد رغم أن الزوج مُتّهم بالقتل.

توصيات:

بناءا على ما ورد أعلاه نتوصل للتوصيات التالية:

- أن تتحول النساء في العائلة إلى مرئيات على يد المؤسسة وأن تتوقف المؤسسة عن تجاهلهن تحت غطاء حساسية المؤسسة "للثقافة المحلية".
- أن يكون تمكين النساء وتدريبهن على المرافعة القانونية جزء من عمل الجمعيات. وهو حاليا جزء من عمل بعض الجمعيات النسوية الحقوقية.
- إقامة جهاز داعم نفسيا وقضائيا للنساء والفتيات في عائلة المرأة التي تُقتل.
- أن تُبدي المؤسسة تفهما لحاجة النساء لمعرفة تفاصيل القضية، وأن تلبى لها هذه الحاجة إن استطاعت.
- أن تتوفر الحماية للنساء كي لا يقعن تحت خطر التهديد بالموت بشكل متواصل ويومي.